Jurnal Fiqh, No. 6 (2009) 171-190 *Journal of Fiqh*, No. 6 (2009) 171-190

معالجة الردة في عصر العولمة
دراسة فقهية-اجتماعية

حسام الصيفي *

ABSTRACT

This study is to explain measures that should be taken in order to prevent the spread of apostasy in the Muslims society. Instead of focusing on punishment measures as discussed in fiqh, this study is devoted to discuss preventive measures from theological, sociological, educational and economical aspects. The study finds that the causes of apostasy, apart from the missionary movement, can be traced to many factors including psychological crisis, educational failure, westernization upbringing and environment and also poor economic condition. To facilitate the understanding of the issues in hand this study has been divided into three parts, namely, theological, educational, which includes da'wah, and socio-economical aspects.

Keywords: *Apostasy, Murtad, Islamic Education, Islamic Environment*

---

* الأستاذ المساعد بقسم الفقه وأصوله ، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

تقديم

لعل أخطر ما يواجه المسلم من تحديات ما يهدد عقيدته وفكره الديني، وكان ديدن أعداء المسلمين قديماً وحديثاً تحويل المسلمين عن عقيدتهم إلى دين آخر أو قلبهم ملاحدة وعلمانيين، وبذلوا ولا زالوا يبذلون في سبيل تحقيق ذلك المال والوقت والجهد، وكانت نتيجة هذه الجهود المتتابعة أن تفشت ظاهرة الردة في المجتمعات الإسلامية وباتت الأسر في خطر ارتداد فرد من أفرادها بأي صورة كانت عن عقيدته والتزاماته الدينية.

والردة في المدونات الفقهية تعني: الرجوع من دين الإسلام إلى الكفر[1]. وعند المالكية يعرف المرتد بأنه المكلف الذي يرجع عن الإسلام طوعاً إما بالتصريح بالكفر وإما بلفظ يقتضيه.[2]

وشاع بسبب ذلك الحديث عن حكم المرتد وعقوبته، وألفت في ذلك الكتب والمقالات العلمية التي طحن بعضها بعضاً في معركة لم يكسب منها المجتمع الإسلامي إلا القليل، ولم يشمر علماء الإسلام عن ساعد الجد للبحث وراء أسباب الردة وبالتالي وضع التدابير الاحترازية والخطط والبرامج للحد من اتساع هذه الظاهرة المدمرة وغلب على كتاباتهم الوعظ والتهديد والوعيد والإشارة بأصابع الاتهام إلى جهات خارجية والضرب على وتر نظرية المؤامرة.

وكما هو معروف فالإسلام لا يجبر أحداً على اعتناق عقيدته والتزام تعاليمه، بل ترك للأفراد والجماعات حرية الاختيار، حتى إذا ما دخلوا في الدين عن طواعية واقتناع، والتزموا من ثَمَّ بتعاليمه الأخلاقية وتشريعاته وقوانينه صار واجباً على القائمين على هذا الدين بذل المال والجهد لتقوية إيمان حديثي العهد بالإسلام من جهة، وصار من حقهم الأخذ بأيديهم ومنعهم من العودة إلى ظلام الكفر من جهة أخرى، فالإسلام لا يقبل أن يكون ألعوبة بيد المتلاعبين والمندسين الذين يرددون مقولة أسلافهم: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: 72]، وَيحاولون تطبيقها كذلك.

---

[1] كما عرفها ابن قدامة في المغني، ج١٠، ص ٧٤.

[2] انظر: القوانين الفقهية، ص ١٣٩.

ولكن قبل أن يسارع المسلمون إلى معاقبة المرتدين وجعلهم عبرة لمن يعتبر لا بد أن يبحثوا عن السبل الوقائية التي تمنع انتشار هذه الظاهرة وتقلص من حجمها، فالقضاء عليها أمر عسير أو محال كما أثبتت التجارب التاريخية للأديان قاطبة. ومن هنا سيهتم هذا البحث العلمي بالبحث عن السبل الوقائية التي تحد من استفحال ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي وتعيد المتشككين والجهلة إلى حظيرة الإيمان، لأن التدين فطرة إنسانية والإنسان مهما تجول في ردهات الكفر والإلحاد المظلمة لا بد أن يعود يوماً إلى فطرته السليمة، ومن هنا سنعالج قضية لها أهميتها الخاصة في أبحاث الردة والمرتدين، وهذه القضية هي: الدين كفطرة وشعور بشري لا يقاوم ولا يدفن مهما طال زمن الإلحاد وقويت شوكته، لأن بث الروح في هذه النزعة الإنسانية الأصيلة عند البشر يلهم الدعاة الصبر والحلم والحكمة في تعاملهم مع ظاهرة الردة.

وبناء على هذه المعطيات تم تقسيم هذا المقال إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: التدابير الموصولة بالعقيدة والفكر الديني.

المبحث الثاني: التدابير التربوية والتعليمية.

المبحث الثالث: التدابير الاجتماعية والاقتصادية.

خاتمة البحث.

المبحث الأول

التدابير الموصولة بالعقيدة والفكر الديني

تعد قضية الردة في هذا العصر تحديًا كبيراً للأمة الإسلامية وللفكر الإسلامي على وجه الخصوص، لأن هذا العصر ـ عصر العولمة ـ عصر الحريات الدينية والسياسية، وفتح منابر الحوار بين الأديان والحضارات على تنوعها واختلافها، لذلك تسعى بعض الجهات السياسية والإعلامية إلى تضخيم حد الردة وعقوبة المرتد لتهميش دور المسلمين على طاولة الحوار الحضاري، ووصف الفكر الإسلامي والتشريع الإسلامي بالتحجر والقسوة، وأنه يعيد إلى الأذهان قرارات الحرمان الكنسية في العصور الوسطى، إذ بمجرد أن يحكم على شخص

ما بأنه مرتد تطلق منه روجته، ويفقد حقوقه المدنية ويتعرض لعقوبة الموت في نهاية الأمر.

فاقتضى الأمر من الباحثين المسلمين أن يضعوا قضية الردة في الخانة الصحيحة، لإزالة الغبش العالق، وتنوير الأفهام بحقيقة الإيمان وضرورته وسبل انتشاره في الأمم، فالفكر الديني الإسلامي قائم على حرية الاعتقاد، والنهي عن التقليد في العقيدة، فقد ركز الإسلام على مبدأ حرية الاختيار، وجعل الأساس في الاعتقاد هو أن يختار الفرد الدين الذي يرتضيه من غير إكراه ولا حمل، وأن يجعل أساس اختياره التفكير السليم، وأن يحمي دينه الذي ارتضاه، فلا يكره على خلاف ما يقتضيه، وبذلك تتكون حرية الاعتقاد من عناصر ثلاثة:[3]

1. تفكير حر غير مأسور بشيء سابق من جنسه أو تقليد.
2. منع الإكراه على عقيدة معينة، فلا يكره بتهديد من قتل أو نحوه.
3. العمل على مقتضى ما يعتقد ويتدين به.

وهذه الحرية في الاختيار هي التي تمنع المسلم من الردة إذا استقر في قلبه وعقله الإيمان بمحض إرادته هو، أما إذا كان تلقي العقيدة بالتقليد أو بالإغراء المادي فإنها سرعان ما تتعرض للاهتزاز بإغراءات أقوى فكرية إلحادية أو مادية، فلا بد من تبصرة المسلم الذي نشأ في بيئة إسلامية بهذه الحقيقة، حقيقة أنه حر مختار، حتى يستقر الإيمان في قلبه، وذلك بوسائل تربوية وتعليمية سيأتي بيانها في مبحث التدابير التربوية والتعليمية.

ويتعلق بقضية التدابير الموصولة بالعقيدة والفكر الديني فكرة أن الدين فطرة إنسانية تتغلب في خاتمة المطاف على نوازع الكفر والإلحاد، وهذه الحقيقة لا بد من توعية الوعاظ والدعاة بها حتى يحسنوا التعامل مع ظاهرة الردة بوصفها حالة شيطانية طارئة على النفس الإنسانية لا بد لها أن تزول مهما طال الزمن وهيمنت الوساوس والرؤى الإلحادية، وحتى لا يتسرعوا بالحكم على المرتد بالكفر دون النظر في حالته والظروف التي دفعته إلى الارتداد، ودون النظر كذلك في نشأته الدينية التي تعين على تفهم حالة الارتداد المرضية، فالدين، بغض النظر

---

[3] محمد أبو زهرة (د. ط)، تنظيم الإسلام للمجتمع .القاهرة: دار الفكر العربي، ص ١٨٢.

عن طبيعة هذا الدين، فطرة إنسانية[4]، وقد أصبح إنكار الدين والتدين موضع سخرية العلماء الذين تبين لهم من البحث والدراسة في تاريخ الأديان أن التاريخ البشري أكبر مشاهد على أصالة فطرة التدين في النفس البشرية، فقد وجدوا أنه لم تخل أمة عرفها التاريخ من دين تدين به.

وفي هذا يقول معجم لا روس للقرن العشرين: «إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الإهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية»، ثم يقول عن مستقبل هذه الفطرة: «إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي بل ولا تضعف إلا في فترات الإشراف في الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد، أما الفيلسوف الفرنسي هنري يرجسون فإنه يؤكد أصالة تلك الفطرة حين يقول: «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، لكنه لم توجد قط جماعة بغير دين». وإذا كان الدين فطرة أو غريزة انسانية فإنه باق ببقاء الإنسانية كما يقول سالمون ريناك: «ليس أملم الديانات مستقبل غير محدود فحسب، بل علينا أن نكون على يقين من أنه سيبقى شئ منه أ[دا، ذلك لأنه سيبقى في الكون دائما أسرار ومجاهيل، ولأن العلم لن يحقق أبدا مهمته على وجه الكمال» ونفس المعنى يؤكده الفيلسوف الفرنسي رينان حين يقول: «إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية»، وبحوث الاجتماع أدت إلى الاعتراف بأن (الدين ظاهرة عامة في جميع المجتمعات بلا استثناء، وفي جميع العصور).[5]

وقد عمل الإسلام على المحافظة على فطرة الانسان وعلى دينه وعقيدته بوسائل شتى تساعده على عدم الوقوع في الردة أو تقيه شر الرجوع إلى الكفر بعد أن أخرجه الله منه، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

---

[4] حمدى عبد العال (١٩٨٦)، منهج السلف في العقيدة، ط.٢. الكويت: دار القلم، ص ١٤، ١٧.

[5] عمر عودة الخطيب (١٩٨٦)، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ص ٢٤.

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المَائدة: 54]. وقال أيضاً ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)[6]، وقال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعودا في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[7]. والرجوع إلى الفطرة لا يتم إلا بعون الجماعة والاسترشاد بهم، فالإنسان بطبيعته اجتماعي لا يطيق العيش منفرداً، والفطرة البشرية ذات طبيعة مزدوجة: فردية وجماعية معاً، فتمتد الفردية كنزعة متأصلة في جميع أفراد الجنس البشري على السواء، وتمتد الجماعية كذلك كنزعة متأصلة في جميع أفراد الجنس البشري على السواء، لا يستحق من يشذ عنها أن يوصف بأنه إنسان سوي.[8]

وأكد الإسلام على ترسيخ العقيدة في قلب المسلم فجعل الإيمان بالله أكبر من أى شئ في النفوس ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19]. ومع أنَ الإيمان والاسلَام فطرة في النفوس إلا أنَ الله سبحانه وتعالى رحمة بالناس أرسل لهم الرسل حتى تبين لهم وتثبيت الناس على الإيمان ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النسَاء: 165]، وأرسل معهم الكتب السماوية حتى يكون منهاجاً ونبراساً يهتدى به الناس في حياتهم قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: 48]، وقال أيضاً ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]..

---

[6] صحيح البخاري، ج١، ص ٢٠٥، الحديث ١١٨. وصحيح مسلم، ج١، ص ٢٠٤، الحديث ٩٨.

[7] صحيح البخاري، ج١، ص ٢٦، الحديث ١٥. وصحيح مسلم، ج١، ص ١٥٢، الحديث ٦٠.

[8] عمر عودة الخطيب (١٩٨٦)، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم الاجتماعية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ص ١٨٥.

وأمر العقل أن يكون تابعاً للوحي فالعقل من خلق الله والوحي من الله والإنسان يعيش في هذا الكون معه العقل الذي أودعه الله فيه وكذلك معه الوحي الذي أوحى به إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام لكي يبلغوه للناس وبين أيدينا كتاب الله المعجز القرآن الكريم الذي خلا من التحريف: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

بيد أنه تقابل الإنسان في حياة قضايا يصعب عليه أن يفهما أو يعرف المراد منها فلا ينجى منها إلى تسليم العقل للوحي على النور وهى أمور تعبدية كما يقول الفقهاء إن العلة في هذا الحكم تعبدية وأي لا يمكن أن نصل إليها بعقولنا ويجب الانقياد لها والتسليم مثل أعمال الصلاة والصيام والحج والإيمان بالقضاء والقدر واليوم الآخر بل وسائر الغيبيات. ولكن جميع الأحكام التي العلة فيها ظاهرة أو يمكن التوصل إليها بالبحث والنظر وهى الأحكام المعللة كما يقول الأصوليون فهنا مجال للعقل يمكن أن ينطلق، ومن العبث أن يقحم الإنسان العقل فيما لا مجال له فيه فهذا يؤدى في كثير من الأحيان إلى الشك في وجود الله وينتهي الأمر ببعض الناس إلى الردة.

ونهى المسلم عن التفكر في ذات الله لأن الله لا تحيط به الفكرة، ولانه يؤدى الى الشك، و أمر بالتفكر في آيات الله ومخلوقاته لأن هذا يؤدى إلى زيادة الإيمان بالله واليقين بالإسلام، وفي هذه المعانى تأتي الأحاديث الآتية:

قال صلى الله عليه وسلم: (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإن الخالق لا تحيط به الفكرة) ، وقال أيضاً: يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ.[9]

المبحث الثاني

التدابير التربوية والتعليمية

يعد من أسباب الردة الجهل بالإسلام، وقد حرص وحث الإسلام على العلم فقال ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا

---

[9] صحيح البخاري، ج١١، ص ٥٤، الحديث ٣٠٣٤. صحيح مسلم، ج١، ٣٢٨، الحديث ١٩١.

الْأَلْبَاب﴾ [الزمر: 9]. وقد أنكر القرآن على الكفار بقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذَا أسَلم أحد من الناس دفعه إلى من يعلمه أمر دينه، فقال عندما أسلم أحدهم: «فَقِّهُوا أَخَاكُمْ في دينه، وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ»[10]، فعدم الفقه في الدين ضلال وقال تعالى ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 32].

ولذلك يجب على المسلمين أن يعلموا أولادهم ونساءهم أمر دينهم ويفقهوهم في الإسلام ولو في فرائض الأعيان على الأقل مثل أركان الإسلام وأركان الإيمان حفاظاً عليهم من خطر الردة وقال صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[11].

فالعلم سبيل الهداية، وطريق ينير الدرب أمام المسلمين ليعوا حقائق دينهم، ويعرفوا وظيفة الدين في الحياة، فيتمسكون به عن حجة وبرهان، فتكون هذه المعرفة تدبيراً واقياً من الارتداد، فالمعركة مع الكفر في حقيقتها معركة مع الجهل والخرافة، إذ يقوم الكفر على أوهام إلحادية لا حجة لها ولا برهان، وتعتمد على الجهالة والعناد، ومن أجل هذا قاد الإسلام الحرب على الجهالة التي كانت وما تزال علة التكذيب والجحود، وبدأ بأولى المعارف وبديهيات الحقائق من التوحيد، ثم أطلق بصر الإنسان في الآفاق ليتعلم كل شيء، ويتبصر في كل ما يحيط به.[12]

ونظام التربية والتعليم الإسلامي يتميز بالشمول، وذلك من خلال مراعاة الجوانب الحسية والعقلية والجسمية والروحية، فيكتمل التوازن المطلوب في العلمية التربوية الذي هو المقصود الأساسي في الإسلام[13]. وهناك مجموعة من الخصائص تميز التربية الإسلامية، مثل: تكاملية التربية الإسلامية وتوازنها حيث إنها لا تركز على جانب واحد وإنما تعتني بالتنشئة التكاملية للإنسان جسماً وعقلاً وسلوكاً ووجداناً وبالعلاقات بين الإنسان وغيره، وتحرص على تحقيق

---

[10] المعجم الكبير للطبراني، الباب ٤، ج١١، ص ٤٥٧، الحديث ١٣٥٨٧.

[11] صحيح البخاري، ج١، ١١٩، الحديث ١٤٠٠. وصحيح مسلم، ج٥، ص ٢٣٩، الحديث ١٧١٩.

[12] مصطفي عبد الواحد (١٩٨٤)، المجتمع الإسلامي . جدة: دار البيان العربي، ص ١٧٨– ١٨٠.

[13] محمد السيد الوكيل، قواعد البناء في المجتمع الإسلامي (المنصورة، مصر: دار الوفاء، ط٢، ١٩٨٩م) ص ٧٩.

التوازن الدقيق بين مطالب الدنيا والآخرة. والتربية الإسلامية تربية سلوكية عملية لا تكتفي بالقول وإنما تركز كذلك على السلوك والعمل اليومي، فتقوي من جهة جانب المراقبة لله لأن القوانين مهما بلغت قوتها وسيطرتها فلن تكفل المجتمع الصالح، ومن جهة أخرى توجه الإنسان نحو الخير، وتجمع بين الفردية والجماعية، فالمسلم مسؤول مسؤولية فردية عن معتقداته وأفكاره، ومسؤول كذلك عن رعيته. والتربية الإسلامية تربية مستمرة من المهد إلى اللحد، تسمو بغرائز الإنسان، وتستجيب لمتطلباته الجسدية والروحية بشكل يتفق مع مبادئ الإسلام والفطرة السليمة. والتربية الإسلامية تتسم بالعالمية والشمول حيث تنبذ التعصب والفروق العرقية والطبقية واللونية، وتقيم معياراً واحداً للتمييز بين البشر وهو معيار التقوى والعمل الصالح.[14]

فلا بد أن تكون العلوم التي يتلقاها أبناء الإسلام شاملة تتناول الجوانب المختلفة فيهم، فينشئون أسوياء لا يطغى جانب على آخر، فلا بد من تلقينهم العلوم الشرعية التي بها يعرفون الحلال والحرام، ولا بد من التوجيهات الروحية التي تولد في قلوبهم خشية الله تعالى والخوف منه ومراقبته في كل الأحوال، ولا بد من التدريبات العقلية التي تنمي مواهبهم وتشحذ ذكاءهم، ولا بد من توجيههم الوجهة العملية التي يكتسبون بها بعض الأصول المهنية لكي يستعينوا بها على مواجهة العقبات، ولا بد من التدريبات الرياضية التي تنشط أجسامهم وتقوي عضلاتهم، ولا بد من تدريبهم تدريباً نفسياً لاستقبال ما يجد في حياتهم من تغييرات.[15]

ويدخل ضمن التوجيهات التربوية العمل الدعوي المنظم الذي يقوم به الدعاة والمصلحون، والتركيز على الدعوة من العوامل التي تحد من انتشار الردة إذا انشغل الدعاة بجدية في معالجة هذه المشكلة التي منشؤها تربوي تعليمي في الدرجة الأولى، فكان الاهتمام بشأن الدعوة الإسلامية بين المسلمين من أهم التدابير الواقية من الردة الاهتمام بالدعوة الإسلامية بين المسلمين في الديار المسلمة والأقليات المسلمة وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ

---

[14] نبيل محمد السمالوطي، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع: دراسة في علم الاجتماع (جدة: دار الشروق، ط٢، ١٩٨٥م) ص ٢٣-٢٥.

[15] محمد السيد الوكيل، قواعد البناء في المجتمع الإسلامي، ص ٨٥.

أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، وقال: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: 15]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67].

والإصلاح من أهداف الإسلام، ودليل على إيمان الفرد، ويشير القرآن الكريم إلى ضرورة الإصلاح: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117]، فالإصلاح وحدة بنائية بديلة لأنه يأخذ صوراً متعددة داخل أنماط العلاقات التبادلية الأخلاقية، وفي داخل كل الأنماط الأخرى، حيث من الممكن أن يكون إصلاحاً بالقول أو بالفعل، والإصلاح وحدة بنائية أساسية في النظام السياسي والعلاقات التبادلية، وهو يعم كل أنماط العلاقات الاجتماعية لقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: 114].[16]

والعلماء ورثة الأنبياء عليهم أن يبلغوا دعوة الله إلى الناس ويعلموهم الإسلام فكثير من المسلمين يحتاج إلى دعوة قال تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]، وقال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45]، وَقال تعالى: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ [النساء: 63].

ولا يخفي على أحد ما وصل إليه حال المسلمين، فاليوم تجد الأسماء الإسلامية والعمل غير إسلامي مثل ترك الصلاة أو الصيام ومنع الزكاة وشرب الخمر والزنا تحت اسم التحضر والتقدم وتسمية الأشياء بغير أسمائها والصداقة بين الرجال والنساء التي تؤدي إلى الفاحشة. ولذلك وجب على المسلمين أفراداً ومؤسسات شعوباً وحكومات عامة وعلماء أن يقوموا بواجب الدعوة والنصح

---

[16] محمد علوان، مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع (جدة: دار الشروق، ط١، ١٩٨٣م) ج١، ص ٨٤.

للمسلمين، والحال التي عليها الناس اليوم لا تكفيهم الكلمة فلا بد أن تترجم إلى عمل وإلى برامج وإلى حل حقيقي للمشكلات.

فهذا رجل مسلم لا يجد ما يأكله، ولا ملجأ يأويه، ولا مستشفى يتعالج فيه، فلا يكفيه: اتق الله!، بل يجب على المسلمين أن يساعدوه ويقوموا بحل مشكلاته حتى يستطيع أن يسمع فان ألم المرض والجوع وصوت الجهل يعلوا عليه ويشوش عليه حقائق الإسلام، والعلاج العملي لضمان الرزق هو الزكاة، والكفارات، والنذور، والأنفال، وحق ولي الأمر وغيره[17]، وقد تحاشى الإسلام في كل أصوله وما وضعه من قواعد يسير عليها المجتمع الإنساني أن يطلق المبدأ أو الشعار دون أن يتناول الأسس التي يقوم عليها، بل أعطى بعد ذلك صوراً من التطبيق للمبدأ بما يحدد مضمونه، ويمنع أن تكون المساواة مجرد شعار يدل على المساواة الحسابية بين الناس، فالمساواة في منهج الإسلام تهتم بالكيان الإنساني، وهو كيان واحد لدى الناس جميعاً بحكم الآدمية التي تجمع الناس على اختلاف الأجناس والألوان وظروف الزمان والمكان[18]، فذلك الجائع إذا أطعمته، وذلك المشرد إذا آويته يسمع ما تقول، ويقتدي بك، حتى إذا ذاق حلاوة الإسلام والإيمان فلن يرجع أبداً.

وإليك بعض المقترحات والتوصيات في جوانب الدعوة العملية بين المسلمين والأقليات المسلمة. فمن أهم القضايا العملية التي يجب الاهتمام بها ما يأتي:

- الاهتمام بالمسلمين الجدد.
- إنشاء المدارس والجامعات والمعاهد.
- بناء المساجد في المناطق الجديدة.
- إنشاء المستشفيات.
- إنشاء دور رعاية للمسنين.

---

[17] سليمان يحفوفي، الضمان الاجتماعي في الإسلام وأثره الوقائي ضد الجريمة (بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢م) ص ٤٧ وما بعدها.

[18] جمال الدين محمد محمود، أصول المجتمع الإسلامي (القاهرة: دار الكتاب المصري، ط١، ١٩٩٢م) ص ١٠٦.

- توزيع الكتب والنشرات والمجلات الإسلامية بأسعار مخفضة أو مجان للمسلمين الجدد.
- زيارة البيوت ومناقشة المسلمين في الأمور الدينية، وعقد مقارنات وجميع الآيات بهدف ترسيخ العقيدة الإسلامية.
- التخطيط المنظم بين المؤسسات الإسلامية على المستوى المحلى والمستوى الدولي.
- التخطيط وإعداد البرامج وبخاصة البرامج الجديدة التي تربط بين الدين والحياة.
- تدريب الأئمة والوعظ.
- تبادل الخبرات بين العلماء والجامعات.
- بحث المشاكل التي تواجهه الدعوة وإيجاد الحلول لها.
- عقد الندوات والمؤتمرات وورش العمل والمسابقات.
- بحث مشاكل الحضارة الحديثة وإيجاد الحلول الدينية لها.
- دراسة المخططات التنصيرية وإعداد الخطط لمواجهتها.
- النهوض بالمؤسسات التعليمية الإسلامية.
- إنشاء المستشفيات ودور العلاج المختلفة لرعاية المسلمين من الناحية الصحية وحمايتهم من الوقوع تحت تأثير الإرساليات التنصيرية.
- التعاون في المجال الإعلامي، وعلم الاتصال.
- إقامة معاهد لتخرج الدعاة مع الاهتمام بحفظ القرآن وتعليم اللغة العربية.
- إنشاء مؤسسات الرعاية الاجتماعية للأطفال والمسنين وللأسر المسلمة الفقيرة.
- إعداد موسوعة عن الدعوة والدعاة خلال العصور المختلفة حتى عصرنا الحاضر تكون مرجعاً للدعاة في كل قطر إسلامي.

- إعداد برامج للتربية الإسلامية في المراحل التعليمية المختلفة.

المبحث الثالث

التدابير الاجتماعية والاقتصادية

تعتبر جريمة الردة، جريمة قديمة حديثة تتجدد لها الأسباب على مر العصور والأجيال، وهى بلا شك اعتداء على الدين الإسلامي في أي صورة من صورها، فالمرتد إما أنه يستهزئ بأحد أركان الإسلام مثل الصلاة، أو الصيام، أو الحج، أو الزكاة، أو ينكر أحد أركان الإيمان، فهو بهذا قد خرج المرتد على الإسلام، فإنه قد اعتدى على الدين وخان الله ورسوله والمسلمين خيانة عظمى. وإن التهاون في عقوبة المرتد المعالن الداعية يعرض المجتمع كله للخطر، ويفتح عليه باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه، فلا يلبث المرتد أن يغرر بغيره وخصوصًا من الضعفاء والبسطاء من الناس، وتتكون جماعة مناوئة للأمة، تستبيح لنفسها الاستعانة بأعداء الأمة عليها، وبذلك تقع الأمة في صراع وتمزق فكري واجتماعي وسياسي قد يتطور إلى صراع دموي، بل إلى حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس.

وعلماء المسلمين قد وضعوا ضوابط لجريمة الردة بحيث أن لا يطلق على أحد أنه مرتد إلا بيقين، وفوق هذا أعطوه الفرصة للاستتابة وتجلية الشبهات التي يحتمل أن تكون عنده. وما من شك في أن المرتد شرع له الإسلام عقوبة القتل حيث أن الخائن والذي يعتدي على دين الله ورسوله، فيجب أن يستأصل من المجتمع حتى لا يشجع الناس على الردة فيفتن الناس بردته ويشيع بينهم الشكوك في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفي هذا خطر كبير على الأمة الإسلامية يجب التصدي له من الراعي والرعية. بيد أنه قد لاحت في العصر الحديث أسباب ثلاثة يرتد بعض المسلمين عن الإسلام بسببها، وهي:الفقر والجهل والمرض، وهو ما يسمى بالثالوث المهلك، وهذه ليست أسباباً مبيحة للإنسان أن يرتكب هذه الجريمة الخطيرة التي يخسر بها الإنسان الدنيا والآخرة.

وقد استغل أعداء الإسلام أسباب الضعف الثلاثة أسوأ استغلال في سبيل إخراج بعض المسلمين من دينهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ

يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217]. وهذا بعينهَ هوَ جريمَة التنصير، الذيَ انتشرَت مراكَزه في أكثر البلاد المسلمة، وذلك على حين غفلة من أهلها، فيقيمون مراكزهم تحت مسميات طبية، وتعليمية، ورعاية للفقراء وكبار السن، وهكذا ظاهره فيه الرحمة، وباطنه فيه الردة وتحويل المسلمين عن دينهم والعياذ بالله. والإسلام غنى بالتشريعات التي تساعد المسلم على المنع من الوقوع في جريمة الردة، فشرع التدابير الواقية من الردة، وسد الذرائع المؤدية إليها.

إن التدابير الواقية من الردة صبر المسلم على الفقر وشظف العيش لأنه بدون الصبر قد يضعف أمام الأموال، أو الجاه والسلطان، والوظائف، وأمره الإسلام أن يغير حالته إلى الأحسن بالعمل والكسب، ولنا أسوة في النبي صلى الله عليه وسلم فقد جمعوا له الأموال، وأرادوا أن يعطوه الملك فصبر على الجوع والفقر ثبت على الحق وقال لعمه (والله يا عمى لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر لا أتركه أبداً حتى يظهره الله أو أهلك دونه).

ومن التشريعات المساعدة للمسلم على عدم ترك الإسلام وجود التكافل الاجتماعي بين المسلمين، والتكافل لغة يعني الانضمام، والكفالة في نظر الفقهاء تعني ضم ذمة إلى ذمة لتتقوى إحداهما بهذا الضم، ومعنى التكافل التزام كل فرد قادر والمجتمع بأن يعين المحتاج، وقد درج الناس على التعبير بالتكافل الاجتماعي والضمان الاجتماعي على معنى واحد، ولكن الضمان الاجتماعي يعبر عن التكافل المادي فحسب، أما التكافل فمعناه أوسع[19]. وأساس التكافل الولاية المتبادلة، وقسماه التكافل المادي والتكافل المعنوي، فالمادي موارده الزكاة، ونفقات الأقارب، والوقف، والوصاية، والكفارات، وما تضعه الدولة من مخططات لتحقيق العدالة الاجتماعية[20]،والتكافل الاجتماعي مبني على الولاية المتبادلة كحق النصيحة لأن الدين النصيحة، والوصاية بالجار وأداء حقوق الأقارب.[21]

---

[19] جمال الدين محمد محمود (١٩٩٢)، أصول المجتمع الإسلامي .القاهرة: دار الكتاب المصري ، ص ١٤٧ .

[20] توفيق علي وهبة (١٩٨١)، الإسلام شريعة الحياة، ط.٢. الرياض: دار اللواء، ص ٢٣١– ٢٣٤ بتصرف.

[21] جمال الدين محمد محمود، أصول المجتمع الإسلامي، ص ١٦٤ .

فقد شرع الإسلام الزكاة الفريضة، والصدقة النافلة، والقرض الحسن، والهدية، وإكرام الضعيف والوقف في سبيل الله للأموال البيوت، وحث على مساعدة المسلم، فقد أقام الإسلام المجتمع على أسس أصيلة هي بذاتها تنتج الرعاية الاجتماعية، وتنضج ثمراتها، فأسس هذا التكافل الاجتماعي هي الأخوة والولاية والتكافؤ ووجوب المحبة[22]، والتكافل الاجتماعي وبقية الأسس العامة للتشريع الإسلامي كمبدأ المساواة والحرية والعدل تعد مصدر جميع التشريعات الإسلامية في حياة الفرد والجماعة، بحيث إن كل جزئية من هذه التشريعات كانت بمثابة النموذج التطبيقي لهذه المبادئ.[23]

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإنفاق على اليتيم، وأمر بتفقد الجار فعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمْ امْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى[24]، وعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ[25]، وتجد إذا أَصاب المسلم مصيبة في وَلَد أو بيت أو مال أو تجارة فإن المسلمين يكفلونه ويجمعون له من أموالهم ويساعدونه حتى يخرج من محنته.

وقد اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأشعريين في المدينة المنورة فقَالَ: إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ[26]. والأَمثلة يضَّربهَا لَنا الصحابة من المهاجَرينً والأَنصَار بعَدَ الهجرَة عندما كَان لا ينزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة، ويقول الأنصاري لأخيه المسلم المهاجر هذا مالي فخذ نصفه وهذه دارى لك نصفها وهاتان زوجتاي اختر أيهما شئت فتزوجها. بهذا كان الخلق العظيم والتكافل ولذلك مدحهم الله بقوله ﴿

---

[22] توفيق علي وهبة، الإسلام شريعة الحياة، ص ٢٢٧-٢٢٨.

[23] زينب رضوان (١٩٨٢)، النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي: أصولها وبناؤها من القرآن والسنّة .القاهرة: دار المعارف ص ٢٥١.

[24] مسند الإمام أحمد، ج ١٠، ص ١٨٤، الحديث، ٤٦٤٨.

[25] صحيح البخاري، ج١٨، ص ٤٣٠، الحديث ٥٥٥٥. وصحيح مسلم، ج١٣، ص ٦٥، الحديث ٤٧٥٧.

[26] صحيح البخاري، ج٨، ص ٣٨٧، الحديث ٢٣٠٦. وصحيح مسلم، ج١٢، ص ٣٠٠، الحديث ٤٥٥٦.

وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

ومن هذه التدابير الواقية ومن رحمة الإسلام بالإنسان أن جعل من مصارف الزكاة سهماً للمؤلفة قلوبهم وهم المسلمون الجدد الذين دخلوا في الإسلام حديثاً علم الله أنهم يحتاجون إلا شئ يؤلف قلوبهم للإسلام أو يحميهم من الحاجة فيريدون لأجل هذا وحتى لا يستغلهم أحد من غير المسلمين قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60]. والحمد لله في البلاد الإسلامية توجد مؤسسات لمساعدة والإنفاق على المسلمين الجدد وتمدهم أيضاً بالكتب ونفقتهم في الإسلام.

ومن التدابير الاجتماعية الواقية من الردة ما شرعه الإسلام من منع نكاح المشركات حتى يؤمن سداً لذريعة الردة، فحرم زواج المسلم من المشركة وزواج المسلمة من مشرك لأن ذلك يؤدى إلى الرجوع عن الإسلام وجاء ذلك في البيان القرآني ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 221].

يالها من آية عظيمة تمنع الزواج من المشركين وتدعوا وترغب في الزواج من المسلمين حتى ولو كانوا فقراء فإنهم أفضل من المشركين الأغنياء قال تعالى ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32].

وكذلك يخاطب الرجال المؤمنين يمنعهم من الزواج من المشركات ولو أعجبهم حسنهم وجمالهن ويشير إلى أن الأمة المؤمنة خير من الحرة الغنية المشركة. وكل هذا للمحافظة على المسلمين والمسلمات من الردة وللأسف نجد في زماننا بعض الفتيات يتركن الإسلام لأجل الزواج من كافر أو مشرك وبعض الشباب يتزوجن من نساء مشركات رغبة في جمالهن أو مالهن ويتحول مصيرهم بالتحول عن الإسلام ويالها من جريمة شنيعة ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ

هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]. ويعملون هذا على حساب عنوسة النساء المسلمات وعدمَ زواجهن مما يؤدى إلى انتشار الفاحشة في المجتمع وفتنة النساء في دينهن عد ما يجدن الشاب المسلم يتزوج من كافرات أو مشركات ويترك الزواج من المسلمات.

ومن الإجراءات الواقية كذلك والمانعة من الردة ضرورة الاستقرار في مجتمع مسلم، فكثير من المسلمين لعقدة النقص المستقرة في نفوسهم يندفعون وراء الأحلام السعيدة في حياة كريمة ومرفهة في بلاد الغرب، فيجازفون بالسفر إليها وكثير منهم يفشل فشلاً ذريعاً في تحقيق طموحاته، ومن ينجح منهم في تحقيق بعض آماله يفقد أولاده، ويراهم يرتدون أمام عينيه ولا يملك قوة ولا سلطة تردعهم وتمنعهم، وشر منهم من يرسل أبناءه إلى الغرب للدراسة تاركاً لهم الحبل على الغارب، فيعيثون فساداً ويعودون بشهادات عالية من بلاد الغرب ولكن بعد أن فقدوا اعز شهادة يملكونها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وما تحمله من دلالات وتبعات، ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم: لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي.[27]

ومن هنا فقد أفتى بعض العلماء بحرمة الاستقرار في البلاد الغربية إلا لضرورة ، فمن لم تكن له حاجة ملحة أو لم تصادفه ضرورة بأن لم يكن طالب علم، أو مريضاً يعالج، أو داعية يدافع عن الإسلام، ويعلم المسلمين وغيرهم، أو موظفاً تحتم عليه ظروف عمله الإقامة الطويلة، أو أنه مضطر للخروج من وطنه، ولم يقبله بلد مسلم أو عربي ... من لم يكن من هؤلاء فلا يحل له الإقامة في البلاد الأجنبية مطلقاً.[28]

وربما يكون آخر إجراء وقائي ضد المرتد وظاهرة الردة هو العزلة الاجتماعية، فسياسة العزلة تفيد من منع تفشي الردة، لأن طبيعة الإنسان وفطرته تأبى عليه الاعتزال، فهو اجتماعي بطبعه، لا يتمكن من تلبية حاجاته وقضاء رغباته إلا بمخالطة الناس، ولا يمكن للمجتمع الاستغناء عن عضو منه مهما تدنت مصلحته، والفرد المعزول عن المجتمع يتخذ بحقه هذا الإجراء ليذوق مرارة مخالفة الفطرة التي أدخلها على المجتمع بجنايته، والإجراء المخالف للفطرة

---

[27] رواه الترمذي في سننه، ج٤، ص ٦٠١، الحديث ٢٣٩٥، وقال حديث حسن.

[28] علاء الدين خروفة (١٩٩٠)، حكم الإسلام في جرائم سلمان رشدي ، ط.٢. الجيزة: دار هجر، ص ٢٨.

المتخذ بحقه كان إيقاظاً لضميره ليحس بنفسه أثر مخالفة الفطرة، وانعكاساته السيئة على نفوس إخوانه ليعود بعد التجربة العملية أكثر تيقظاً وأعمق إحساساً بالحاجة لسلوك طريق الفطرة السوي.[29]

خاتمة البحث

لعل أهم نقطة أثارها البحث هي ضرورة معالجة قضية الردة كظاهرة اجتماعية لا كقضية سياسية تهدد الكيان العقدي والفكري والسياسي للمجتمع الإسلامي، والبحث وراء الأسباب التي تؤدي إلى الارتداد، ومحاولة القضاء على هذه الظاهرة منذ المراحل الأولى من تكوينها. ومن خلال دراسة هذه الظاهرة المرضية التي ابتلي بها المجتمع المسلم، والبحث في أسبابها توصل البحث إلى مجموعة نتائج ومعالم، أهمها:

التدابير الاحترازية للردة على الصعيد العقدي تتمثل في القضاء على عوامل التقليد غير الواعي في الدين وإشعار المسلم بدوره في عملية الاختيار ليزداد شعوره بالمسؤولية ولا يفرط في قرار اتخذه عن كامل الحرية في اختيار دينه. واستبعاد القضايا التي تشوش عليه تفكيره كالبحث في الذات الإلهية، وهي مباحث كلامية لا طائل تحتها وتورث التشكيك أثناء العملية التربوية.

وأما التدابير الاحترازية على الصعيد التربوي والتعليمي فهي معنية بالدرجة الأولى في التعاطي مع المناهج التعليمية السائدة في المجتمعات الإسلامية، والتي يجب أن يراعى فيها تميز نظام التربية والتعليم الإسلامي بالشمول، وذلك من خلال مراعاة الجوانب الحسية والعقلية والجسمية والروحية، فيكتمل التوازن المطلوب في العلمية التربوية. فلا بد من تلقين الناشئة العلوم الشرعية، ولا بد من التوجيهات الروحية والعقلية التدريبات الرياضية، ولا بد من توجيههم الوجهة العملية التي يكتسبون بها بعض الأصول المهنية، ولا بد من تدريبهم تدريباً نفسياً لاستقبال ما يجد في حياتهم من تغييرات. وكذلك إصلاح برامج الدعوة والإرشاد ودفع الوعاظ والدعاة للانخراط في العملية الإصلاحية والتربوية لمحاصرة ظاهرة الردة.

---

[29] سليمان يحفوفي، الضمان الاجتماعي في الإسلام وأثره الوقائي ضد الجريمة، ص ٢٤٠-٢٤١.

وأما التدابير على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي فتتمثل في القضاء على عوامل الفقر والجهل والمرض بالتركيز على التكافل الاجتماعي واستثمار موارد الزكاة والصدقات والهبات والوقف والوصايا وما تفرضه الدولة في هذا الباب من مخططات، وغيرها لتحسين الحالة الاجتماعية للأفراد، والعودة إلى سهم المؤلفة قلوبهم، ومنع التزاوج بين المسلمين والمشركين، والحرص على العيش في مجتمع إسلامي كريم بدل توجيه الأنظار إلى الحياة في البلاد الغربية والتضحية بدين الأجيال الجديدة من أجل بعض المنافع الدنيوية الزهيدة.